عرائس الربيع

للأستاذ علي محمود طه

وثبن في موكب الطبيعة ... وثوب فزلانها الوديعة
منشرات وسرسلات ... قلائد الفتنة الرصيعة
أثار دفء النسيم روحاً ... فيهن مشبوبة وليعة
وهاج عطر الصباح فيها ... ما هاج في النحلة الرضيعة
فرحن يمرحن في غناء ... نُصغي، وتلوا الرُّبى وجيعة
يحملن ورداً بها لورد ... يختال بالحمرة اليفيعة
كأنما الروض قلبُ صَبٍّ ... أسلنَ فوق الثرى نجيعة
هذا الربيعُ الجميلُ يجلو ... فنون إبداعه الرفيعة
مشى فحيّى الرياض منه ... خُطىً على صدرها سريعة
وديعةُ الخالق في يديه ... وبوركت فيهما الوديعة
انتشت الأرض من شذاه ... وأترعتْ كأسها الرصيعة
ولي فمٌ ناضبٌ وقلبٌ ... فارغةٌ كأسه صديعة
عرائس الحسن لا تدعن السمعَ للهجر والتطيعة
فإنهُ شاعرٌ يُغنّي ... أحلامه الحلوة البديعة
لكنّ يحيى صِبا الليالي ... شدواً، ويُبقي الهوى دموعه !

عاد ربيعُ الثرى وعادتْ ... سوابح الدوحة الوشيعة
هفتْ بجوقاتها إليه ... مُغنيةً سِرّهُ مُذيعة
وزفّهُ بلبلٌ لعوب ... في حِضنه وردةٌ خليعة
وحدّق الزهرُ وائتزرتْ ... كأسٌ حوله سميعة
شريعة الغاب ما أراها ... دماً ولا ميتةً ذريعة
لكنهُ الحبُّ فوضوياً ... يقتحم القرونة المنيعة
تدعو له الكائناتُ طراً ... وتُقدّس الحبَّ من شريعة
فيا عروس الربيع هاتي ... من وحيه وانثري صنيعه
أنتِ شبابُ الحياة أنتِ الجمالُ في موكب الطبيعة
وأنتِ أنتِ الربيعُ، لا ما ... تبدعه ريشة الطبيعة

خدّاكِ، نهداك، من جناهُ ... فاكهة الجنة المضيعة
ثغرك ريّانُ من رحيق ... الحبُّ يحيى به صريعه
شعرك من نور ناظريه ... يقبس منه الشقي سطوعه
وُقيت لمع العيون إمّا ... رمتك بالنظرة الجميعة
وقيت لفح الشفاه إما ... هفت بها قبلة الخديعة
وقيت فحّ الصدور إما ... غلتْ بها الشهوة الوضيعة
فأرجعي يا عروس فني ... صِباً يود الهوى رجوعه
أيامُ كلُّ الطريق زهرٌ ... وكلُّ حافاته مريعه
أيام كلُّ الحياة فجرٌ ... ترقب عين الفتى طلوعه
وليله مهرجان عرس ... قد أوقدوا حوله شموعه
إن أنت لم تُحيي إليه ... قتلت في صدره نزوعه
ومن قلب أضاع بين الهوى وبين الصبا ربيعه !!

علي محمود طه

كن زهرة

للأستاذ إيليا أبو ماضي

قل للذي أحصى السنين مفاخراً ... ياصاح ليس السرُّ في السنوات
لكنه في المرء كيف يعيشها ... في يقظةٍ أم في عميق سبات
قم عُدّ آلاف السنين على الحصى ... أتعدُّ شبه فضيلةٍ لحصاة ؟
خير من الفلوات لا حد لها ... روضٌ أغنّ يقاسُ بالخطوات
كن زهرةً أو نفحةً في زهرة ... فالمجدُ للزهرات والنفحات
تمشي الشهورُ على الورود نحوكة ... وتنام في الأشواك مكتئبات
وتموت هذي العقم قبل نمائها ... وتعيش تلك الدهرَ في ساعات
تحصي على أهل الحياة دقائق ... والدهر لا يحصى على الأموات
المرءُ إلا بالمآثر فارغٌ ... كالبيت مهجوراً وكالوعاة
جعل السنين جميلةً وكبيرةً ... ما في مطاويها من الحسنات

إيليا أبو ماضي

صور من الحياة :

غـــدر ... !

للأســـتاذ كامل محمود حبيب

لقد كان عهدي بك — يا صاحبي — فتى مشرق الوجه وضاح الجبين ربيع الشباب ، تتألق — دائماً — في الثالث الثمين من اللباس فتبدو في رأي العين حسن الهيئة جميل الشارة ، تتوثب نفسك سعادة ومرحاً ويفيض قلبك بهجة وحبوراً ، يشغلك سهل الحياة من حزنها وتصرفك سمة العيش من شظفه ، تتفتح لك الدنيا عن مثل بسمة الزهرة النضيرة سقاها ندى الفجر الرطيب ورفت عليها نسمات الصبح الرقيقة ، فتتدفق في قلبك لذة وهدوءاً ، فكنت — إذ ذاك — تبدو كفراشة سعيدة ما بها إلا أن تثب بين الورود والرياحين ترشف الرحيق العذب في شوق وشغف ثم تنطلق إلى غايتها لا تأسى على شيء . فما أراك الآن وقد حال لونك وذوى عودك ، إني أحس كأن حادثة عصفت بك فلفّت بهجتك في ثنايا وطوت البشر من عينيك ، فبدت على جبينك سمات الحزن وارتسمت على وجهك علامات الكآبة . يا عجبا ! لقد تقضّى جبينك بعد إشراق ، وتكسرت شوكك بعد صلابة واستحالت أناقتك إلى أسمال خلقة ! فماذا كان من الأيام وماذا كان منك ، يا صاحبي ؟

وأطرق الرجل حيناً في خجل ثم قال وفي صوته ضعف وفي نبراته اضطراب « إن لي حديثاً طويلاً لا أستطيع أن أقضي به إلا أن يطمئن بطني ، فأنا منذ ليلتين أبيت على الطوى لا أجد ما أسد به رمقي ، وحاولتُ جهدي أن أحتال لأمري فعجزتُ ، وتنكّرت لي الأيام وعصرتني الحياة بين فكين من حديد ، فانسدت مسالكها وأوصدت مساربها ، وتراءت لي قلوب الناس جامدة لا تنبض بشفقة ولا تهتز برحمة ... »

وحزّ حديثه في نفسي فانطلقتُ أهيىء له طعاماً وشراباً ، فما راعني إلا أن يلوك اللقمة ولا يكاد يزدردها ويحركها بين أسنانه ولا يكاد يستسيغها . فقلت له في دهشة « ما بالك لا تقبل على الطعام ؟ » قال : « يا سيدي ، إن الطير ليزق فراخه وهو خمصان فيحس الشبع والراحة حين تهدأ نفوسها ، وإن الوحش الكاسر ليطعم صغاره دون نفسه وبه قرم إلى اللحم فيجد السعادة والهدوء . وإن لي صبية يتلوّون جوعاً ... » قلتُ : « إن لعنة الله لتنحط على الكلمة فتصيبه بالتخمة ليعلم أن بطنه لا يسع ما يشبع بطنين » ثم أخذتُ أعدُّ لصغاره طعاماً يكفيهم أياماً ، ورأى هو الطعام فهب — في بشر — يريد أن يحمله إليهم ، فقلت له : « مهلاً ! إن الخادم سيحمله إليهم وستبقى أنت هنا لتقص قصتك ... »

وجلس صاحبي إلى جانبي مطرقاً في مهموم ، وإن خواطره لتضطرب في بيداء السنين وإن الحوادث لتشتجر في قلبه ، وإن نفسه لينازعه من أن يفضي إلى بذات نفسه . فقلت : « يا أخي ، لا بد من شكوى ... ! » قال : « آه ، إن في الإنسان دوافع ترابية إن سيطرت عليه سفلت به عن معاني الإنسانية » ثم قال : « نشأت أنا وأخي الأكبر وحيدين تجمعنا صلة الأخوة والصداقة وتضمنا روابط الطفولة واليتم ، لم نشعر بعطف الأب ولم نتنسم حنان الأم ، ولنا دار وتجارة ، فتكفلنا عمنا ، وماله ولا فيه طمع فشملنا بعطفه وخصنا بعنايته وإنه لرجل دين وقناعة ، فما امتدت يده إلى درهم من مالنا ولا عبث بالقليل من تجارتنا ولا خلبه بريق الذهب ولا استهواه شره المال ، فعاش وعشنا في كنفه سنوات ، ثم أصابه الكبر وعصفت به الشيخوخة على حين قد نما أخي الأكبر واشتد عوده ، فقام هو على تجارتنا يصرفها ويرعاها ومن ورائه رأي عمي وتجاربه وإخلاصه .

وانطوت السنون تصقل أخي وتحببه بالران والدربة ، وأنا منصرف عن شواغل الحياة وعن رواعي العمل إلى عبث الشباب وطيش الصبا ، لا يعنيني إلا أن أجد اللذة واللذة ... وقرّت ما ألاق من حب أخي ووقائه فسكنت إلى صفاء ودّه وخالص حبه ...

ثم تزوج هو وتزوجت أنا ، ودخلت المرأة بيننا تريد أن تقصم عروة عقدتها يد الزمن ، وأن تقطع آصرة ربطتها جفوة الحياة منذ أن شب كلانا عن الطوق . والمرأة شيطان جميل يتسرب حديثه الطلي إلى القلب رقيقاً في مثل نسمات الربيع اللطيفة ، وهي تمان ينفث سموماً تتدفق في النفس في مثل حلاوة الرحيق ... ووجدت كلمات المرأة من أخي أذناً صاغية فما لبثت أن شطر الدار شطرين ، وأقام بيني وبينه جدر ، لا يستطيع واحد أن يظاهره .

وأحسست أنا — لأول مرة في حياتي — مسّ الأسى والحزن حين أحسست فقد أخي وهو إلى جواري .

وانجابت غشاوة من على عيني فتراءى لي ما يتوارى خلف أستار الزمان ، وخشيت أن يخلو أخي إلى زوجه يلقي السمع إلى حديثها ويلقي السلم إلى رأيها فإذا تجارتنا شطرين مثلما أصبحت دارنا شطرين ، وفجرت أياماً تؤرقني الفكرة وتزعجني الخاطرة ، لا أستطيع أن أصرف نفسي عنها ولا أن أعوصها من خيالي ، ثم رحت إلى أخي أكشف له عن هواجس نفسي وأنشر أمامه خلجات فؤاده فقلت : « أي أخي ! أنا لا أستطيع أن أجحد فضلك ولا أن أنكر جميلك ، فلولا ما بذلت من جهد وعناية ما زهت تجارتنا ولا ازدهرت ولا درّت علينا هذا الرزق العميم . ولقد كنتُ في حياتي كلها أحس منك شفقة الأخ الأكبر وحنان الأب الرحيم ، أطمئن إلى حبك وأسكن إلى إخلاصك . وإني لأخشى أن توسوس لك نفسك فتستقل بنصيبك في التجارة وتذرني ظامئاً ، وأنا حريص على ألا تعصف بنا نوازع المادة فتصدع وحدتنا وتنشق عصانا وتتقطع وشائج القلب وصلات الروح . وهذه تجارتنا بين يديك ، هي لك كلها إن شئت ولك جلها إن أردت ، وأنا قانع بما تنزل لي عنه لأنني لا أرضى بأن يشمت عدو أو أن يتشفّى حسود » .

وسمع أخي الأكبر حديثي فاستيقظ تاريخنا كله في قلبه منذ أن كنا طفلين نستشعر الذلة ونحن الضياع فترقرقت في عينيه عبرات ما تتحدر وفاض قلبه بالعاطفة السامية ، ثم وثب على كتفي وهو يقول « لا يزعجك هذا الأمر فأنا أشد حرصاً عليه . ولقد اقتسمنا الدار لأنني كنت أخشى أن يدب خلاف بين زوجي وزوجك أو أن يعاني ابني على ابنك فتهدم سعادتنا وتنتقض راحتنا . أما التجارة فهي لي ولك . . »

وقمت من لدن أخي وإن الفرحة لتغمر قلبي .

ومضت سنة واحدة ، ثم انحط عليّ مرض يعركني عركاً شديداً . وحبسني الداء في حجرة من الدار لا أستطيع أن أبرحها وإلى جانبي زوجي تقدم على حاجاتي في غير غضاضة ولا ملل ، وأخي يغدو إليّ ويروح وإلى جانبه طبيب وبين يديه دواء ، وأنا لا أنوء بأثقال المرض ، وإن زوجي وأختي بين يدي يرفهان من نفسي شدة الضنى ويخففان عني صولة العلة ، ومن بينهما طبيب . والطبيب رجل غليظ الكبد ، سقيم الوجدان ، واهي الرجولة ؛ لا يشفي غلته سيل من المال ، ولا ينقع صداه بحر من الذهب ؛ يصرفه الجشع عن الواجب ، ويشغله الشره عن الإنسانية .

وطالت بي العلة ، فما أرمضني إلا صغاري يحومون حولي ، وإن قلوبهم لتتفطر أسى ولوعة لما أعاني من ألم . ثم برئت — بعد لأي — من سقامي لأخرج للناس شبحاً ضامراً هزيلا شاحب الوجه ، مرتعش اليد ، منحط القوة .

ورأى أخي عجزي وضعفي فتنكر لي وانطوى عني فلا يزورني إلا لماماً ولا يحدثني في شأن تجارتنا إلا قليلا ، وقبض يده عني — فلا يمض إلا بدريهمات لا تسد حاجة ولا ترأب صدعاً . ولست أنا فيه الجفوة والقسوة فاضطرب قلبي وانزعج فؤادي ، ولكني لم أستطع أن أحدث إليه بأمر . ماذا أقول وأنا أوقن بأن مرضي قد كلفني فوق الطاقة استنفد الكثير من مالي ، غير أن حاجات العيش ثقال ومن ورائي زوجي وصغاري يطلبون القوت واللباس ولا يقنعون بالتافه من العيش ولا يرضون بالرخيص من اللباس ؛ فذهبت إليه أدفع نفسي دفعاً عنيفاً وأحلها أمراً لا تطيقه .

وجلس وجلست أنا ، وتحدثت إليه بحاجتي فاعترض عني ولم يلق بالا إلى كلماتي ، بل قام في أناة وتؤدة ليجمع أوراقه ودفاتره ثم لينشرها أمامي وهو يقول : لقد استنزفت أيام مرضك كل ما ادخرنا وركبنا الدين ونحن الآن نسير إلى الإفلاس في سرعة . وهذه أوراقنا تدل على صدق ما أقول » ووجمت أنا لحديث أخي ، وتراءى لي أن يداً عبثت بالتجارة وأن عقلا عاث في الأوراق ولكن الكلمات ماتت على شفتي ، واستمر هو في حديثه يقول « والآن أصبح لا مندوحة لنا عن أحد أمرين : إما أن نبيع الدكان بما فيه لرجل غريب ، وإما أن يشتريه أحدنا ويدفع الثمن فوراً » وصدمني الرأي صدمة عنيفة ، فأخي يشق بأنني خاوي اليد والجيب وأنني أضن بتجارتنا أن تصبح في يد غريبة وأنني في حاجة شديدة إلى المال . فقلت في استسلام وكمد « خذ أنت حصتي » قال « فهي تساوي كذا وكذا يخصم منها ثمن الدواء وأجر الطبيب وهو كذا فيبقى كذا » وأرغمتني الحاجة على أن أنزل عند رأيه فكتبت له تنازلا عن حقي لقاء المبلغ الذي أراد ، ثم انفلت من لدنه وبين يدي جنبات وفي عيني عبرة وفي قلبي لوعة

آه ، يا صاحبي ، إن في الإنسان دوافع ترابية إن سيطرت عليه سفلت به عن معاني الإنسانية » ...

فاضل محمود حبيب